قصص الصحابة

3

مهمة في سبيل الله

سلوى العنانى



مهمة في سبيل الله

(سلمان الفارسى)

[سلمان منا آل البيت]

صدق رسول الله (حديث صحيح)

عاش هذا الرجلُ نِصْفَ حياتِه يبحثُ عن الهُدى والنورِ ..

ثم قضى باقي سنواتِ عُمْرِه يجاهدُ في سبيلِ نُصْرَةِ الدينِ الذي أيقنَ أنه الحقُّ والصدقُ .

كان فتى مدللاً لأبٍ ثريٍّ يعيشُ في بلادِ فارس (إيران الحالية).. وكان أبوه (مَجُوسِيًّا) يعبدُ النارَ .. وتحمَّس الابن لديانةِ أبيه وتفرغ لخدمتها ووهبَ حياتَه لها ..

وبينما هو في طريقِه يومًا .. إذا هو يَسْمَعُ تراتيلَ النَّصَارَى وهم يؤدون صلاتهم في إحدى الكنائسِ ..

ودخل الفتى يستطلعُ الأمرَ.. وسمع حديثَ الرُّهبانِ

والقساوسةِ وتأمَّلَ هذا الحديثَ الجديدَ بعقلِه وقلبِه ..

فهذا دينٌ يؤمنُ بأن هناك إلها واحدًا . وهو خالق كل شيءٍ . خالقُ السمواتِ والأرضِ والبحارِ والبشرِ والدوابِ والزروعِ .. والنارِ .. هذه النارُ التي يعبدُها (المجوسُ) .. واستيقظت في الفتى فطرتُه السليمةُ .. وآمن أن (النصرانية) خيرٌ من عبادةِ النارِ التي يعتنقها ..

وعادَ الفتى إلى أبيه يقصُّ عليه ما سمع .. كما أفْصَحَ عن رغبتِه في اعتناقِ هذا الدينِ السَّماويِّ (النصرانية) وتَرْكِ عبادةِ النارِ ..

وطال الجدلُ بين الفتى وأبيه .. وأصَرَّ الوالدُ على عقيدته وخشى من اقتناع ابنه بهذا الدينِ الجديدِ فَحَبَسَه وقَيَّدَ يديه وساقيه لكن (الحبسَ) و(القيودَ) لم تستطعْ أن تُضعفَ إيمانَ الفتى الذكيِّ بما رآه بعقله قريبا من الحقيقة .

واتصل الفتى سرًا بالنصارى فدبروا له فرارًا إلى بلاد

الشام[1] ضمن قافلة تجارة .

وفي الشام عاش داخلَ أحدِ الأديرةِ وصَـاحَبَ القساوسـةَ ولأَزَمَ الرهبانَ وأخذَ عنهم تعاليمَ الإنجيل وتـدارسَ معـهم ما جاء في نصوصه من أخبارٍ .. لكنه كان يبحثُ دائما عـن حقيقـةٍ يشـعرُ أنـها مـازالتْ غائبـةً عنـه .. حقيقـةً مطلقـةً مازالتْ غائبةً عنه ..

وينتقلُ الفتى بين الشامِ والعراقِ وأرضِ الحجازِ ملازمًـا الرهبانَ والنُّسَّاكَ يقرأ معهم ، عَلَّه يجـد إجابـةً عـن سـؤالِه الذي كان يقلقه دائمًا ..

أين الحقيقة ؟

إلى أن أخبره أحد الرهبان بـأن نبيـا سـيبعثُ علـى مِلَّـةِ النبيِّ إبراهيمَ ـ عليه السلامُ ـ وأن هذا النبيَّ سيأتي بديـن كاملٍ ، وأنـه سـيهاجر مـن وطنـه إلى الأرض الـتي تحيطـها النخيل .

---

(1) بلاد الشام : هي سوريا ولبنان وفلسطين والأردن (حاليًا).

ويسافر الفتى من مكان إلى مكان بحثًا عن هذا النبي وعن هذا الدين .. وعن هذه الأرض التي تحيطها النخيلُ إلى أن بِيْعَ رقيقًا لرجل من يهودِ بني قريظة في (يثرب)[1].

فلما دَخَلَ الفتى (يثربَ) .. تَلَفَّتَ حوله فوجد النخيلَ يحيطُ بها فَشَعَرَ أنه قد وَجَدَ ضالَّته التي كان يبحثُ عنها .. فهذه المعالمُ تشبه المعالمَ التي وصفها الراهبُ الطَّيِّبُ يومًا ما، لكن .. أين النبيُّ الذي سيأتي باليقينِ الذي يفتشُ عنه الفتى منذُ سنواتٍ ..

ويأذن الله لرسوله بالهجرة إلى (يثربَ) التي حملت بمقدمه إليها اسمَ المدينة المنورة ..

ويعرف الفتى بمقدمِ (محمدٍ) ويسأل عنه وعن دينه الجديدِ ويتحقق بعقلِه وقلبِه أنَّ هذا هو النبيُّ الذي قضى نصفَ عمره يبحثُ عنه وينتظره.

فقد كان مؤمنًا أن هذا النبيَّ سيأتي بالحقِّ ..

(1) يثرب : هي المدينة المنورة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إليها.

كل الحقِّ الذي كان يبحثُ عنه ..

الحقُّ الذي تَرَكَ من أجله وطنَه وأهلَه وثروتَه – بل وحريتَه – ورفضَ من أجلِه دينَ آبائه وأجدادِه..

صحيحٌ أنه كان مُوَحِّدًا عندما اعتنق (النصرانيةَ) لكنه كان قَلِقًا دائما ..

يشعرُ أن فى داخله سؤالا آخر لم يسمعْ بعد إجابته ..

كان يعلم أنه يسمعُ هذه الإجابةَ من النبيِّ الجديدِ (محمدٍ) .

ويجلس الفتى بين يدي رسولِ الله ليعلن إسلامَه شاهدًا أنَّه لا إله إلا الله وأن محمدًا رسولُ الله ..

هذه هي رحلة (سلمانَ) الفارسيِّ من الكُفْرِ إلى الإيمانِ .. من الشَّكِّ إلى اليقين ..

فهل كان إسلامُ (سلمانَ) هو النهايةُ الذي هدأتْ عندها نفسُه واطمأنَّ قلبُه وزال عنه القلقُ والرغبةُ في السعي إلى الحقِّ ..

لا .. لم تكن هذه هي نهاية الرحلة ..

بل كانت بداية لرحلة أخرى أروع وأعظم من الأولى ..

فها هو قد سَعِدَ باطمئنان قلبه ودخولِه في دينِ الإسلامِ .. كما حَظِيَ برفقةِ نبيِّ الله الذي طالَ بحثُه عنـه .. وعليـه الآن أن يدافعَ عن هذا الدينِ الذي آمن به قبل أن يعتنقه ..

وعن الرسولِ الذي صَدَّقه قبل أن يلقاه ..

وعن إخوته المسلمين الذين أحبهم من قبل أن يعرفهم ..

وعن المدينة المنورة – عاصمة الإسلام – هذه المدينة الـتي كان يحلمُ بسكناها قبل أن يدخلها .

كان العام الخامس للهجرة .. وقد أرسـت دولـةُ الإسـلامِ قواعدَها في المدينةِ المنورةِ بينما دخلت في الإسلام عشـراتُ القبائلِ من أنحاء الجزيرةِ العربيةِ .. وأصبـح الديـنُ الجديـدُ يشكِّلُ قوةً متزايدةَ النمو ..

وبدأت قريـشٌ وأحزابُـها مـن الكفـارِ واليـهودِ يخشـون محمدًا وصحبه .. فاجتمعوا فيما يزيد على أربعـةٍ وعشـرين

ألف مقاتلٍ تحت قيادةِ (أبي سفيان بنِ حرب) وزحفوا إلى المدينةِ حيث كان المسلمون أقل عددًا وعُدَّةً ..

يا الله .. إنها مؤامرةٌ كُبْرَى هَدَفَها محو أثرِ الإسلامِ والقضاءِ على رسولِه وأتباعه ..

واجتمع النبيُّ الكريمُ وأصحابُه الكرامُ يتشاورون وقد أحسوا بخطورة ما يحيط بهم .. فهم رغم شجاعتهم وبسالتهم واستعدادهم للتضحية لا يمكنهم مواجهة هذا الجيش الكبير ..

هنا وقف واحدٌ من صحابةِ رسولِ الله واقترح عليه أن يتم حفرُ خندقٍ يغطي الجزءَ المكشوفَ من المدينة .. فالجبالُ تحيطُ بالمدينةِ من كل ناحيةٍ .. إلا جزءًا واحدًا هو الذي يشكل خطورةً عليها..

أيُّ فكرةٍ عبقريةٍ هذه .. ومن هو صاحبها ؟

لقد كان وراء هذه الفكرة شابٌّ مسلمٌ فارسيُّ الأصل عاش رحلة طويلة من البحث عن الحقيقة فتركَ دينَ أهله

(المجوسية) إلى (المسيحية) ثم اعتنق الإسلامَ لـمَّا رأى فيه كل الحقيقة التي كان يبحث عنها .

وفي سبيل هذا الهدف تـرك (سلمانُ) خلفَه ثراءَ أبيه العريضَ وهام في أرضِ الله حتى بِيْعَ في سوق الرقيق ..

لكنه اليوم هنا .. إلى جوار رسولِ الله يقدمُ له ولصحابته المشورةَ والنصيحةَ .. ويقترح فكـرةً رائعةً وخدعةً حربيةً جديدةً لا قِبَل للعرب بها ..

نعم .. فقد كان صاحبُها هـو (سلمان الفارسي) الذي يعرف من فنون الحرب في فارس ما لا يعرفه إخوانه العرب .

واقتنع النبيُّ وباقي الصحابةِ بالفكرةِ وتسابقوا على تنفيذها فحفروا الأرض وحطموا الصخورَ وحملوا الأحجار والأتربة .. ولما انتهى العمل شعر المسلمون بالأمان حيث يصعب على أعدائهم الوصولُ إليهم مهما كان عددهم وعُدَّتهم ..

وكـانت مفاجئـةً لقريـشٍ وللأحـزابِ معـها .. مـا هـــذا الخندق .. إنه شكل جديد من أشكال الدفاعِ والتحصـينِ لم يعرفوه من قبل.. وكيف يمكن للخيلِ والإبلِ والفرسـانِ أن تعبرَ الخندق لملاقاة المسلمين ومحاربتهم ؟!

وأُسْقِط في يد الكفار ..

وعسكروا في الجهة الأخرى من الخندقِ يناوشون ببعـضِ النبلِ والسهامِ .

في هذا الوقت .. حاول اليهودُ ممارسةَ هوايتهم في الخيانـةِ والوقيعةِ .. وتآمروا لضربِ المسلمين مـن الخلـفِ .. وكـان يهودُ بني قريظةِ الموجودون بالمدينة قد عــاهدوا النـبيَّ محمـدٍ على نُصرةِ المسلمين .. لكــن المسـلمين كـانوا علـى حَـذْرٍ ويقظةٍ فوتت على هؤلاء اليهود فرصة الغدر والخيانة ..

خمس وعشرون ليلـة .. والكفـارُ يرابطـون أمـام الخنـدقِ يناوشون ويغامرُ بعضُــهم بـالقفز .. لكنـها كـانت مغـامرة فاشلة ..

ويأتي أمرُ الله .. رياحٌ وعواصفُ تقتلع الخيامَ وتطفئ النارَ وتكفئ القدورَ .. وأمطار وبرق ورعد وأعاصير .. وساد الرعب بين جيش الأحزاب الكافرة .. وعمت الفوضى والهرج وأسلم الجميعُ نفسَه للفرارِ ..

وهكذا .. نصرَ الله عبدَه ..

وأعزَّ جندَه ..

وهزمَ الأحزاب وحده .

وكان النصرُ للمسلمين بأمرِ الله وبفضلِ اقتراحِ (سلمان) ، هذا الرجل الذي استطاع بصدقِ إيمانه وصحيحِ إسلامِه وذكائه وفطنتِه وثقافتِه أن يحتلَّ مكانةً خاصةً في قلبِ رسول الله ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ حتى قال عنه يوما :

"سلمان منا آل البيت" .

أما (علي بن أبي طالب) كَرَّمَ الله وجهَه فكان يناديه (لقمان الحكيم) إعجابا بذكائه وحكمتِه ورجاحةِ عقلِه .

ويفتح الله على المسلمين أنحاءَ الأرضِ .. وتعيشُ (المدينةُ المنورةُ) عاصمة الإسلام أيامًا رغدة ورخاء في عهد خلفاءِ رسولِ الله الراشدين ـ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ـ وتُوزَّعُ الغنائم والعطايا على المسلمين . فماذا كان نصيب (سليمان الفارسي) من هذه العطايا ؟

كان نصيبه يتراوح بين أربعة آلاف وستة آلاف درهم في العام ..

إلا أن النفسَ النقيةَ التقيةَ كانت تزهد كل هذا وتوزعه صدقةً على الفقراءِ وتَرْفُضُ أن تحتفظ لنفسها أو لأسرتها بدرهم واحد ..

فكيف كان إذا يعيش (سلمانُ) ومن أين ينفق على نفسِه وعلى عياله ؟

أصرَّ (سلمان) أن يعيش من عمل يده ..

فماذا كان هذا العمل ؟ .. وهو الذي كان طفلا مدللا وشابًا مترفا يعيشُ في بَحْبُوحَةٍ من العيشِ في ظل ثراء

أبيه .. فلم يحترفْ حرفةً ولم يمتهن مهنةً ولا صنعة ..

فماذا فعل ؟ ..

احترف (سلمانُ الفارسيُّ) جَدْلَ الخُوْصِ وتضفيره يصنع منه بعض فُرُش الأرض أو يصنع منه أوعية تستعمل في حمل الأغراض..

ولنسمعه يحدثنا عن عمل يومه :

(أشتري خوصا بدرهم .. فأعمله ثم أبيعه بثلاثة دراهم .. فأعيد درهما فيه وأنفق درهما على عيالي وأتصدق بالثالث) .

كم كان (سلمانُ) إنسانًا عظيمًا ..

صافيا زاهدًا ..

كانت نظرتُه إلى الدنيا باعتبارها دارَ عملٍ وكَدٍّ ..

وصدقة وإحسان ..

أما الترف والراحة فهي ليست من شيم المؤمنين الصادقين .

عاده (*) الصحابيُّ (سعد بن أبي وقاص) أثناء مرضه الأخير .. فسأله عهدًا يأخذه عنه فقال : (يا سعد .. اذكر الله عند هَمِّكَ إذا هَمَمْتَ .. وعند حُكمك إذا حكمت .. وعند يديك إذا قَسَمْت).

رضوان الله عليك يا من وجدت ضَالَّتك في دين الإسلامِ .. فكنت نموذجًا للمسلمِ الحقِّ.



(*) أي زاره أثناء مرضه

